المثل والقصة القرآنية ودورهما في علاج التعنت

(دراسة موضوعية)

د. هلا نايف المشاقبة *

بسم الله الرحمن الرحيم

سلم البحث في ٢٠١٣/١١/٢٥م اعتمد للنشر في ٢٠١٣/١٢/٢٠م

ملخص البحث:

يعد هذا البحث واحد من سلسلة الأبحاث العلمية التي وفقني الله سبحانه وتعالى في دراستها، وسبر غورها، والتي تهدف إلى دراسة المثل، والقصة القرآنية، ودورهما في معالجة آفة من أهم الآفات التي تهدد المجتمعات، وتكون سببا في دماره وانهياره، وهي: آفة التعنت، تناولته في ثلاثة مباحث؛ حيث عرفت في المبحث الأول: مصطلحات البحث، ولألفاظ ذات الصلة، وفي المبحث الثاني: تحدثت عن فائدة ضرب الأمثال، وأقسامه في القرآن الكريم، وفي الثالث بينت دور القصة القرآنية، وفوائدها، وخصائصها.

كلمات مفتاحية: المثل، القصة، الحجة، الحديث.

Abstract

Ideals, and the Koranic story and their role in the treatment of intransigence (Objective study)

This is a search and one of a series of scientific research that helped me God Almighty in the study, and fathom, which aims to study the ideals, and the story of Quranic, and their role in addressing the scourge of the most important pests that threaten communities, and be the cause of its destruction and collapse, namely: the scourge of intransigence, addressed in three sections; knew where the first topic: the search terms, and related words, and in the second section talked about the usefulness of proverbs, and the divisions in the Koran, and in the third showed the role of the Koranic story, and its benefits, and characteristics.

Keywords: parable, story, argument, talk.

المقدمة:

الحمد لله الذي أنزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين بشيراً ونذيراً، وأشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً ﷺ عبده ورسوله، بلّغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح للأمة، أما بعد، فقد أرسل الله سبحانه وتعالى نبيه ﷺ إلى الناس كافة بشيرا

---

* باحثة أردنية في التفسير وعلوم القرآن الكريم.

ونذيرا لقوله تعالى:﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (سبأ:٢٨) وقد شرف الله سبحانه وتعالى أن تكون جزيرة العرب هي المهد الأول لاحتضان هذه الدعوة، إلا أن أهلها غلب عليهم شقوتهم في بداية الدعوة؛ فكان على النبي ﷺ أن يقارع الحجة بأقوى منها، فقد تنوعت وتعددت أساليب القران في محاجتهم، ومقارعتهم، تارة بضرب المثل، وتارة بسرد القصص خاصة قصص الأقوام البائدة وما أصابهم جراء تعنتهم، واستكبارهم وغير ذلك من أساليب، حتى اظهر الله سبحانه وتعالى دينه على الناس كافة.

أهمية الدراسة:

تبرز أهمية البحث من خلال الموضوع الذي يعالجه فهو يتكلم عن موضوع: **(المثل والقصة القرآنية، ودورهما في علاج التعنت- دراسة موضوعية)**، وتوضيح منهج القرآن الكريم في علاج هذه الآفة، والتي تختلف أشكالها ومسمياتها عبر العصور، ومع التقدم الحضاري والفراغ الروحي والبُعد عن الإيمان بالله تعالى، والغيب وحياة الآخرة.

مشكلة الدراسة:

تكمن مشكلة الدراسة في الإجابة عن الأسئلة الآتية:

١- ما المقصود بالمثل، والقصة القرآنية، وما الألفاظ ذات الصلة بهما؟

٢- ما فائدة ضرب الأمثال، وأقسامه في القرآن الكريم ؟

٣- ما دور القصة القرآنية: وفوائدها، وخصائصها الفنية ؟

حدود الدراسة:

جاءت هذه الدراسة لموضوع (المثل والقصة القرآنية ودورهما في علاج التعنت-دراسة موضوعية) وبيان وتوضيح بعض الجوانب المتصلة بهذا الموضوع.

أهداف الدراسة:

هناك عدة أهداف دفعتني إلى اختيار هذا الموضوع يأتي في مقدمتها الآتي:

١- جمع شتات الموضوع في مؤلف يسهل على طالبيه إدراكه.

٢- الإساءة للقران، ووصفه بالعجز في مواكبة روح العصر.

٤- بيان منهج القرآن الكريم في علاج هذه المشكلة.

منهج البحث وخطته:

المنهج الذي اتبعته في هذا البحث:

١- **المنهج الاستقرائي:** من خلال استقراء الآيات الوارد فيها المثل، والقصة، والألفاظ ذات الصلة في القران الكريم، ودراستها دراسة موضوعية.

٢- **المنهج التحليلي:** من خلال تحليل ألفاظ الآيات الكريمة بالاستعانة بالتفاسير المختلفة لبيان مسلك القران الكريم في عرضه لهذه المشكلة.

٣- **المنهج الاستنباطي:** من خلال استخراج الأحكام والحقائق والعبر والحلول من الآيات الكريمة.

أما خطة البحث فكانت كالآتي:

المبحث الأول: تعريف مصطلحات البحث، والألفاظ ذات الصلة.

المبحث الثاني: فائدة ضرب الأمثال، وأقسامه في القرآن الكريم.

المبحث الثالث: القصة القرآنية: دورها، وفوائدها، وخصائصها الفنية.

أما الخاتمة: فتذكر فيها الباحثة أهم النتائج والمقترحات التي توصل إليها البحث.

المبحث الأول
التعريف بمصطلحات البحث والألفاظ ذات الصلة

يتناول هذا المبحث: تعريف المثل، والألفاظ ذات الصلة، كما يتناول تعريف القصة، والألفاظ ذات الصلة.

المطلب الأول: تعريف المثل والألفاظ ذات الصلة

أولا: تعريف المثل في اللغة والاصطلاح:

- **المَثَل في اللغة:**

المَثَلُ: "هو الشيء الذي يُضرَب لشيء مثلاً فيجعل مِثْلَه. وفي الصحاح ما يُضرَب به من الأمْثال. قال: الجوهري ومَثَلُ الشيء أيضاً صفته"[1].

- **المَثَل في الاصطلاح:**

"المَثل: قول في شيء يشبه قولاً في شيء آخر بينهما مشابهة؛ ليبين أحدهما

الآخر ويصوره. نحو قولهم: الصيف ضيعت اللبن، مَثل يضرب لمن يطلب شيئاً قد فوته على نفسه"[2].

"والأمثال: حكمة العرب كان يوحي بعضهم بها إلى بعض بلا تصريح، فيفهم الرجل عن صاحبه ما حاول باختصار وإيجاز، وفائدة المثل أن تُبين للمضروب له الأمر الذي ضرب لأجله فينجلي غامضه"[3].

ثانيا: الألفاظ ذات الصلة بالمَثل:

- الحكمة:

ضرب من العلم يمنع من ركوب الباطل. وتدفع نفس الإنسان إلى كمالها الممكن لها في حدي العلم والعمل. فحينئذ تنال الخلق الذي يُسمى العدالة، كما تمنع صاحبها من ركوب ما لا يصلح. وقيل هي العلم والعمل، لا يكون الرجل حكيماً حتى يجمعهما[4].

وفي صلة الحكمة بالمثل: فإن النصوص قد تناولت اللفظين في المؤلفات اللغوية والعلمية معاً، حتى أن منهم مَن فسر المثل بالحكمة، وفسرها بالمثل، وهناك من الكتب ما تناول دراسة الحِكم والأمثال معاً، كما اقترنت الحكمة بالمثل في الكتب الخاصة بالأمثال منفردة، وعلى العكس، حتى أن أكثر الذين تحدثوا عن الأمثال قد ذكروا الحكم، أو أشاروا إليها في أحاديثهم[5].

- التشبيه:

من الشِّبْهُ والشَّبَهُ والشَّبِيهُ المِثْلُ، والجمع أَشْباهٌ، وأَشْبَه الشيءُ الشيءَ: ماثله. والتَّشْبِيهُ: التمثيل[6]. و"التشبيه في اللغة الدلالة على مشاركة أمر بآخر في معنى، فالأمر الأول هو المشبه والثاني هو المشبه به، وذلك المعنى هو وجه التشبيه ولا بد فيه من آلة التشبيه وغرضه. والمشبه في اصطلاح علماء البيان هو: الدلالة على اشتراك شيئين في وصف من أوصاف الشيء في نفسه كالشجاعة في الأسد والنور في الشمس. وهو إما تشبيه مفرد كقوله ﷺ: "إن مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل غيث أصاب أرضاً"[7]. حيث شبه العلم بالغيث ومن ينتفع به بالأرض الطيبة ومن لا ينتفع به بالقيعان فهي تشبيهات مجتمعة، أو تشبيه مركب كقوله ﷺ:

"إن مَثلي ومَثل الأنبياء من قبلي، كمثل رجل بنى بنياناً فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة"[٨]. فهذا هو تشبيه المجموع بالمجموع لأن وجه الشبه عقلي منتزع من أمور فيكون أمر النبوة في مقابلة البنيان"[٩].

فارتبط المَثل بالحكمة والجامع بينهما هو العقل ورجاحته، وقد يمتاز المَثل عن الحكمة بلغته الجزلة الفصيحة البَيِّنة المختصرة، مما يترتب عليه سهولة الحفظ وإدراك المطلوب بأوجز العبارات. أما المَثل فإن أصله الشَبه، وتمثيل شيء بشيء هو تشبيه.

المطلب الثاني
تعريف القصة والألفاظ ذات الصلة

أولا: تعريف القصة في اللغة والاصطلاح:

- القصص في اللغة:

"يُقال: قصّ أَثَره قَصّاً وقَصَصاً، واقتصّه وتقصّصه: تتبّعه. وقوله تعالى: ﴿فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصاً﴾ (الكهف: ٦٤)، أي رجعا من الطَّريق الَّذي سلكاه يقصّان الأثر. وقوله تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾ (يوسف: ٣)، أي نُبين لك أحسن البيان. والقِصَص: جمع قِصَّة، وهي الأمر والشأن، والَّذي يُكتب، والقَصَصُ: الأخبار المتتبّعة، قال تعالى: ﴿إِنَّ هذا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ﴾ (آل عمران: ٦٢)"[١٠]. قال السعدي: "وأخبر تعالى ﴿إن هذا﴾ الذي قصه الله على عباده هو ﴿القصص الحق﴾ وكل قصص يقص عليهم مما يخالفه ويناقضه فهو باطل"[١١].

- "القصص في الاصطلاح:

القصص: "مصدر قول: قصصت الحديث، أقصه قصاً، وقصصاً. وهو الكلام المتصل بعضه ببعض. والأصل فيه الاتباع. وهو أن هذا المتكلم يتبع ما سبق قبله بالحديث والأخبار عنه. ويقال للواقعة التي لها حديث وبناء: قصة"[١٢].

وقال ابن عاشور: "القصة: الخبر عن حادثة غائبة عن المخبر بها، فليس ما في القرآن من ذكر الأحوال الحاضرة في زمن نزوله قصصاً؛ مثل ذكر وقائع المسلمين مع عدوهم. وجمع القصة: قِصص بكسر القاف، وأما القَصص بفتح

القاف: فاسم للخبر المقصوص، وهو مصدر سمي به المفعول، يقال: قص على فلان إذا أخبره بخبر"[13].

ثانيا: الألفاظ ذات الصلة بالقصص:

- الحديث:

- الحديث في اللغة:

الحَدِيثُ: نقيضُ القديم، والحُدُوث: نقيضُ القُدْمة. حَدَثَ الشيءُ يَحْدُثُ حُدُوثاً وحَداثةً وأَحْدَثه هو فهو مُحْدَثٌ وحَديث، والحديث: ما يُحَدِّثُ به المُحَدِّثُ تَحْديثاً وقد حَدَّثه الحديثَ وحَدَّثَه به ومنه المُحادثة والتَّحادُث والتَّحَدُّثُ والتَّحْديثُ[14].

- الحديث في الاصطلاح:

"في الأصل هو ما تخبر به عن نفسك من غير أن تسنده إلى غيرك، وسمي حديثاً لأنه لا تقدم له وإنما هو شيء حدث لك فحدثت به"[15].

- الفرق بين القصص والحديث:

"إن القصص ما كان طويلاً من الأحاديث متحدثاً به عن سلف، ومنه قوله تعالى: ﴿نحن نقص عليك أحسن القصص﴾ (يوسف: ٣)، وقال: ﴿نقص عليك من أنباء الرسل﴾ (هود: ١٢٠) ولا يقال لله قاص لأن الوصف بذلك قد صار علماً لمن يتخذ القصص صناعة، وأصل القصص في العربية اتباع الشيء بالشيء ومنه قوله تعالى: ﴿وقالت لأخته قصيه﴾ (القصص: ١١)، وسمي الخبر الطويل قصصاً لأن بعضه يتبع بعضاً حتى يطول، وإذا استطال السامع الحديث قال هذا قصص والحديث يكون عمن سلف وعمن حضر ويكون طويلاً وقصيراً، ويجوز أن يقال: القصص هو الخبر عن الأمور التي يتلو بعضها بعضاً، والحديث يكون عن ذلك وعن غيره، والقص قطع يستطيل ويتبع بعضه بعضاً مثل قص الثوب بالمقص وقص الجناح وما أشبه ذلك، وهذه قصة الرجل يعني الخبر عن مجموع أمره وسميت قصة لأنها يتبع بعضها بعضاً حتى تحتوي على جميع أمره"[16].

المبحث الثاني

فائدة ضرب الأمثال وأقسامه

المطلب الأول: فائدة ضرب الأمثال

أورد العلماء في الأمثال وضربها كثيراً، فقال الماوردي: إنها من أعظم علوم القرآن الكريم، واعتبر الشافعي الأمثال مما يجب على المجتهد معرفته من علوم القرآن، وقيل: إن ضرب الأمثال في القرآن مما يفيد في: التذكير، والوعظ، والزجر، والاعتبار، والحث، والتقرير، وتقريب المراد للعقل، وتصويره بصورة المحسوس، وذلك أنها تصور المعاني بصورة الأشخاص لأنها أثبت في الأذهان[١٧].

وقال العسكري بأن الأمثال" من أدب اللسان فهو يزيد المنطق تفخيماً، ويكسبه قبولاً، ويجعل له قدراً في النفوس؛ وحلاوة في الصدور، ويدعو القلوب إلى وعيه ويبعثها على حفظه ويأخذها باستعداده لأوقات المذاكرة والاستظهار به أوان المجاولة في ميادين المجادلة والمصاولة في حلبات المقاولة، وإنما هو في الكلام كالتفصيل في العقد والتنوير في الروض والتسهيم في البرد، فينبغي أن يستكثر من أنواعه لأن الإقلال منها كاسمه إقلال والتقصير في التماسه قصور، وما كان منه مثلاً سائراً فمعرفته ألزم لأن منفعته أعم والجهل به أقبح، ولما عرفت العرب أن الأمثال تتصرف في أكثر وجوه الكلام وتدخل في جل أساليب القول أخرجوها في أقواها من الألفاظ ليخف استعمالها ويسهل تداولها، فهي من أجل الكلام وأنبله وأشرفه وأفضله لقلة ألفاظها وكثرة معانيها ويسير مئونتها على المتكلم مع كبير عنايتها وجسيم عائدتها، ومن عجائبها أنها مع إيجازها تعمل عمل الإطناب، ولها روعة إذا برزت في أثناء الخطاب والحفظ موكل بما راع من اللفظ وندر من المعنى، والأمثال أيضاً نوع من العلم منفرد بنفسه لا يقدر على التصرف فيه إلا من اجتهد في طلبه حتى أحكمه وبالغ في التماسه حتى أتقنه"[١٨].

فوضح الله تعالى في القرآن الكريم الفرق بين المؤمن المُوحد والمتعنت المُعاند بالتشبيه وضرب الأمثال، حتى تتقرب الرؤية وتتضح الصورة في أذهان مَن لا يدركها من المتعنتين حيث حُجبت عقولهم عن الحق، ومن ذلك قوله ﷻ:

﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً رَّجُلاً فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلاً سَلَماً لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلاً الْحَمْدُ للَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ﴾ (الزمـر: ٢٩)، فقد مَثّل الله مثلاً للكافر بالله الذي يعبد آلهة شتّى، ويطيع جماعة من الشياطين، والمؤمن الـذي لا يعبُـد إلا الله الواحـد، فضرب الله مثلاً لهذا الكافر رجلاً فيه شركاء. فهو بين جماعة مالكين متشاكـسين، يعني مختلفين متنازعين، سيئة أخلاقهم، وكل واحد منهم يستخدمه بقـدر نـصيبه ومِلْكه فيه، ورجلاً مسلماً لرجل، أي خُلُوصاً لرجل؛ يعني بذلك المـؤمن المُوحـد الذي أخلص عبادته لله، لا يعبد غيره ولا يدين لشيء سواه بالربوبية.

وقوله: ﴿هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلاً﴾ أي هل يستوي مثلُ هذا الذي يخـدم جماعـة شركاء سيئة أخلاقهم مختلفة فيه لخدمته مع منازعته شركاءه فيه والذي يخدمُ واحداً لا ينازعه فيه منازع إذا أطاعه عرف له موضع طاعته وأكرمه، وإذا أخطأ صفح له عن خطئه، يقول: فأيّ هذين أحسن حالا وأروح جسماً وأقـلّ تعبـاً ونـصباً؟. وقوله: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ يقول: الشكر الكامل، والحمدُ التامّ لله وحده دون كـلّ معبـود سواه. وقوله: ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ﴾، يقول جل ثناؤه: وما يستوي هذا المشترك فيه، والذي هو منفرد ملكه لواحد، بل أكثر هؤلاء المشركين بالله لا يعلمون أنهما لا يستويان، فهم بجهلهم بذلك يعبدون آلهة شتى من دون الله[19].

كما استخدمت الأمثال لإقامة الحجة والبرهان على أهل التعنـت والكبـر، فوصفت حالهم بأدق العبارات وأوجزها، وبيَّنت أثناء مجادلتهم الحق ومحاسنه من الباطل وقبائحه، فأقامت المقارنة بين النقيضين لبيان معالم الحق وتوضيحها، وبيان مفاسد الباطل وضعف حججه، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَن يُحيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ. قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِيَ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْـقٍ عَلِيمٌ. الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ. أَوَلَيْسَ الَّـذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَى وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِـيمُ﴾ (يـس: ٧٨- ٨١)، نزلت هذه الآيات في أُبي بن خلف حيث جاء للنبي ﷺ وبيده عظم رمـيم بالي، ففته بيديه ونثره أمام النبي ﷺ ثم قال: أيحيي الله العظام بعد هذا ؟، فهو بهذا السؤال منكر للبعث متعنت مستكبر، مستهزئ بالرسالة والرسول عليـه الـصلاة

والسلام، وقد نسي حاله الأولى بدء الخلق حين لم يكن شيئاً: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ﴾ (يس: ٧٧)فأمر الله تعالى نبيه بأن يجيبه: ﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ تذكير بما كان عليه قبل أن يستوي رجلاً، ثم ضرب الله له المثل والتشبيه ببيان خلقه مقارنة بخلق النبات الأخضر فقال تعالى: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ﴾ أي: الذي بدأ خلق هذا الشجر من ماء حتى صار خَضراً نَضراً ذا ثمر ويَنْع، ثم أعاده إلى أن صار حطباً يابساً، توقد به النار، كذلك هو فعال لما يشاء، قادر على ما يريد لا يمنعه شيء. وقيل: الذي أخرج هذه النار من هذا الشجر قادر على أن يبعثه. ثم ضرب الله له مثلاً آخر من خلقه فقارن خلقه بخلق السموات والأرض وهو أكبر فسبحان الله ﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَى وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ﴾[٢٠]. فأقام الله تعالى على هذا المتعنت وعلى غيره في القرآن الكريم الحجة والبرهان بالدليل والبيان على فساد مذهبهم، وضعف حجتهم، وسقط قولهم وفعلهم، وزيف فكرهم، والتأكيد على أن هذه الفئة الضالة إنما تريد ممارسة التعنت لا لجهلها بالواقع والصواب؛ بل للكبر الذي يقبع في قلوبهم حتى توارى الإيمان وغار في صدورهم.

ومن الأمثال في القرآن الكريم التي تصف حال أهل التعنت والعناد وتضع الحجة نصب أعينهم قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾(الجمعة: ٥). وقوله تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ. وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ. سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَأَنْفُسَهُمْ كَانُوا يَظْلِمُونَ﴾ (الأعراف: ١٧٥- ١٧٧).

المطلب الثاني
أقسام الأمثال

وللعلماء في تقسيم الأمثال طرق عدة باعتبارات مختلفة، وما ذكره السيوطي باعتبار ظهور المثل أو كونه كامناً، فقسم الأمثال إلى أمثال صريحة وأمثال كامنة، وجعل من الأمثال المصرح بها قوله تعالى: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ. صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ. أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ. يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (البقرة: ١٧- ٢٠) حيث ضرب فيها للمنافقين مثلين مثلاً بالنار ومثلاً بالمطر، وعن ابن عباس قال: هذا مثل ضربه الله للمنافقين كانوا يعتزون بالإسلام فيناكحهم المسلمون ويتوارثونهم ويقاسمونهم الفيء، فلما ماتوا سلبهم الله العز كما سلب صاحب النار ضوءه ﴿وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ﴾ يقول في عذاب. ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ﴾ هو المطر ضرب مثله في القرآن ﴿فِيهِ ظُلُمَاتٌ﴾ يقول: ابتلاء ﴿وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ﴾ تخويف ﴿يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ﴾ يقول يكاد محكم القرآن يدل على عورات المنافقين ﴿كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ﴾ يقول كلما أصاب المنافقون في الإسلام عزاً اطمأنوا فإن أصاب الإسلام نكبة قاموا ليرجعوا إلى الكفر كقوله: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ﴾ (الحج:١١).

ومن الأمثال الكامنة التي لم يظهر المثل بها صريحاً ما نقله السيوطي عن الماوردي في حديث طويل عن الأمثال السائرة بين الناس وهل يجدها في القرآن الكريم، كالمثل القائل: خير الأمور أوساطها، فإن ما يدل عليه في القرآن الكريم قوله تعالى في أربعة مواضع: ﴿لا فَارِضٌ وَلا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ﴾ (البقرة: ٦٨) وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾ (الفرقان:٦٧) وقوله تعالى: ﴿وَلا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ﴾

(الإسراء: ٢٩) وقوله تعالى: ﴿وَلا تَجْهَرْ بِصَلاتِكَ وَلا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً﴾ (الإسراء: ١١٠). والمثل القائل: مَن جهل شيئاً عاداه فهو في موضعين: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ﴾ (يونس: ٣٩) وقوله: ﴿وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَسَيَقُولُونَ هَذَا إِفْكٌ قَدِيمٌ﴾ (الأحقاف:١١). ولم يذكر السيوطي غير هذين القسمين للأمثال[٢١].

ومن تقسيمات الأمثال تقسيمها بالنظر إلى كون المَثل صورة منتزعة من الواقع أو من الخيال.

ومن أمثلة الصورة التمثيلية المنتزعة من الواقع، ما جاء في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ (البقرة: ٢٦٤) فشبه الله تعالى مَن ينفق ماله رئاء الناس بالذي يزرع على صخرة صماء ملساء لا يثبت عليها ماء، ولا ينبت منها زرع.

ومن أمثلة الصورة التمثيلية المنتزعة من الخيال، قوله تعالى: ﴿أَذَلِكَ خَيْرٌ نُزُلًا أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ. إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ. إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ. طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ. فَإِنَّهُمْ لَآكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ. ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِنْ حَمِيمٍ. ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى الْجَحِيمِ﴾ (الصافات: ٦٢- ٦٨)، فشبه الله ﷻ شجرة الزقوم وهي شجرة تنبت في النار بأنها كرؤوس الشياطين، ولا علم لنا بشكل الشياطين ورؤوسها على الحقيقة، ولكن الإنسان لديه في أعماقه أبشع الصور للشيطان، فاستخدم الله تعالى هذا المثل وهذه الصورة المنتزعة من الخيال لبيان مدى شناعة هذا المنظر وهذا المصير الذي سيحل بكل مَن كفر وظلم نفسه[٢٢].

المبحث الثالث

القصة القرآنية، دورها وفوائدها وخصائصها الفنية

المطلب الأول، القصص ودورها في الترغيب والترهيب

لا ينكر أحد التأثير النفسي والمعنوي للقصص القرآني على النفس البشرية، ففيها دافع تربوي عظيم، وتمثل مصدر جليل في منهج الترغيب والتبشير، وآخر في

مجال الترهيب والتهديد، باستحضار الماضي من حيث الزمان والمكان والإنسان، وتصويره كأنه واقع ماثل أمام الأعين، تلك هي القصة القرآنية جليلة الخبر صادقة الحدث.

من الأمثلة القرآنية على الترهيب والتخويف في القصص القرآني قوله تعالى: ﴿وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ. وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ. قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ. قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي آمَنْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ. فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يَا صَالِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ. فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ﴾ (الأعراف: ٧٣- ٧٨).

بدأت الآيات قبل ذكر الترهيب والتخويف بذكر نعم الله تعالى التي أسبغها على ثمود من إرسال صالح عليه السلام برسالة التوحيد والإيمان والأدلة الصاعقة على بعثته -الناقة- إلى ما بسطه الله تعالى لهم من قوة ونعمة في الأرض، فعمَّروا السهول ونحتوا الجبال، ولكنهم تعنتوا وتشددوا في قبول الحق، ولم يلتزموا بعدم ذبحهم الناقة حين حذرهم الله تعالى: ﴿وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾، فكان الترهيب والتخويف مع هذه الفئة بلا جدوى، فمن لم يستشعر بروحه ووجدانه ورجائه قوة الله تعالى وسلطته ووحدانيته فلن ينفعه شيء في إنقاذ نفسه من التهلكة.

وقوله تعالى: ﴿ولا تمسوها بسوء﴾، فإنه يقول: ولا تمسوا ناقة الله بعقر ولا نحر، ﴿فيأخذكم عذابٌ أليم﴾، يعني: موجع[٢٣]. وفي إيراد قصة صالح عليه السلام مع قومه وتعنتهم وإصرارهم على نحر الناقة من الترهيب والتخويف ما يردع النفس، ويردها إلى جادة الصواب، فحين أمرهم الله تعالى بألا يؤذوا الناقة ولم يلتزموا بالعهد معه تعالى أنزل عليهم العذاب الذي وعدوهم به، فكانت هذه سنة الله تعالى

في الأمم المُخالفة ﴿سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ (الأحزاب: ٦٢). فالترهيب أحد الأساليب القرآنية التي تعالج النفس البشرية، وحبها للأمن والسلامة، وإيثارها البعد عن الخوف والخطر، من خلال تخويفها وتهديدها، ففي هذا الأسلوب جذب للناس حول الحق، إما خوفاً من العقاب، أو خوفاً من فقدان السلامة والأمن، ويقابل الترهيب وبتخويف الرجاء، وهو أعلى وأجل منزلة من الخوف، ذلك لأن أقرب العباد إلى الله تعالى أحبهم إليه، والحب يغلب ما دام على مقصوداً بالرجاء، ولكن من الناس من لا يستجيب إلا إذا خُوف وهُدد[٢٤].

وفي المقابل من الأمثلة القرآنية على الترغيب والتبشير في القصص القرآني قوله تعالى: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ. فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ. وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِنَ الصَّابِرِينَ. وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُمْ مِنَ الصَّالِحِينَ. وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ. فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ. وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ. فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ (الأنبياء: ٨٣- ٩٠).

في هذه الآيات القرآنية الكريمة ذكر لثلاثة من الأنبياء الكرام هم أيوب وذا النون وزكريا -عليهم أفضل الصلاة والسلام- اجتمعت فيهم الحاجة إلى الله تعالى في مواقف مختلفة فما كان منهم إلا اللجوء إلى رب العزة والتضرع بين يديه لفك كربهم، فجاءت الآيات بالترغيب في ذكر الله تعالى ودعائه، والتبشير بقضاء الحاجة؛ وذلك إن خرج الدعاء من قلب صادق تائب خاشع.

"وقوله: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ﴾ يقول الله: إن الذين سميناهم يعني زكريا وزوجه ويحيى، كانوا يسارعون في الخيرات في طاعتنا، والعمل بما يقرّبهم إلينا، وقوله: ﴿وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا﴾، يقول تعالى ذكره: وكانوا يعبدوننا رغباً ورهباً، وعنى بالدعاء في هذا الموضع: العبادة، كما قال: ﴿وأعتزلكم وما

تدعون من دون الله وأدعو ربي عسى أن لا أكون بدعاء ربي شقيا﴾، ويعنى بقوله: ﴿رَغَبا﴾ أنهم كانوا يعبدونه رغبة منهم فيما يرجون منه من رحمته وفضله ﴿ورَهَبا﴾ يعني رهبة منهم من عذابه وعقابه، بتركهم عبادته وركوبهم معصيته"[٢٥].

وقد يقترن الترهيب بالترغيب في الآية الواحدة فيكون ذلك من باب الدعوة إلى الله تعالى بالحسنى والحكمة، حتى لا يركن الإنسان إلى كون الله تعالى رحيم حليم فيكسل عن الطاعات والعبادات، ويفتر الجانب الإيماني في روحه، مثال ذلك في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾ (الأنعام: ١٤٧).

فخاطب الله تعالى في هذه الآية الكريمة نبيه المصطفى ﷺ بأن يقول لمن كَذبه من المشركين والمنافقين واليهود: ﴿رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ﴾ وهذا جانب الترغيب والتبشير بالرحمة والمغفرة من رب العالمين، ذلك لمن أراد العَود والإيمان وترك التعنت والكبر. وفي المقابل ذكر تعالى: ﴿وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾، فيه ترهيب وتخويف لهم إن لم يستمعوا لدعوة النبي ﷺ، فبأس الله تعالى مما لا يقوى عليه البشر، ولا يترك أحد من المجرمين إلا ويقع عليه[٢٦].

المطلب الثاني
فوائد ذكر القصص في القرآن الكريم

لم يسق الله تعالى القصص في القرآن الكريم للتسلية والترفيه، لأن رسالة القرآن أسمى وأجل من ذلك، ولتَساوى حينها القرآن مع كثير من القصص والأخبار الصادقة ولن يكون للقصص القرآني عندها الفضل على سائر القصص. كما لم يكن الغرض منها فقط العبرة والعظة مما جاء في أخبار الأمم السابقة وبيان أحوالها، بل الفائدة أعم وأسمى للأمة، حيث أن الله تعالى اختار من كل قصة أشرف مواضيعها، وترك ما لا داعي لذكره مما لا يفيد في العبرة، وهذا دليل على أن القصد منها ليس التسلية، لذلك نرى القصة الواحدة في سور عدة بما يلائم المقام، وهذا التوزيع هو أحد أشكال الإعجاز البياني والبلاغي، فلكل مقام مقال، وهو ما يُعبر عنه بالذكر والتذكير، فذكر القصة في موضع دون آخر يكسبها صفتين هما: صفة البيان،

وصفة البرهان، وناسب ذكر القصص المقصد الأسمى من القرآن من حيث بيان التشريعات والفروع، أما فوائد ذكر القصص في القرآن الكريم فهي:

١- عُلم عن أهل الكتاب في ذلك العصر معرفتهم أخبار الأنبياء والأقوام وأيامهم، فكان اشتمال القرآن على تلك القصص التي لا يعلمها إلا الخاصة من علماء أهل الكتاب تحدياً عظيماً لهم، وتعجيزاً لهم بقطع حجتهم على المسلمين، قال تعالى:﴿تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا﴾ (هود: ٤٩) وبذلك انقطعت صفة أمية المسلمين في نظر اليهود فيما يخص الأخبار والقصص الذي طالما احتكره اليهود، وانقطعت ألسنة المعرضين بهم بأنهم أمة جاهلية.

٢- معرفة تاريخ الشرائع السابقة، فاشتمال القرآن على قصص الأنبياء وأقوامهم يُعد تكليلاً لهامة التشريع الإسلامي بذكر تاريخ المشرعين، ومن أسلوب القرآن في هذا الغرض أنه لا يتعرض إلا إلى حال أصحاب القصة في رسوخ الإيمان وضعفه وفيما لذلك من أثر عناية إلهية أو خذلان. دون الخوض في ذكر أصحاب هذه القصص وبيان أنسابهم أو بلدانهم إذ العبرة فيما وراء ذلك من ضلالهم أو إيمانهم.

٣- الإخبار بالتاريخ من حيث معرفة ترتيب المسببات على أسبابها في الخير والشر، والتعمير والتخريب لتقتدي الأمة وتحذر، قال تعالى: ﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا﴾ (النمل: ٥٢).

٤- تحذير وتذكير المتعنتين بما لحق الأمم التي عاندت رسلها، وعصت أوامر ربها حتى يتعظوا بمصارع نظرائهم وآبائهم، وكيف أن الله تعالى يورث الأرض أولياءه وعباده الصالحين. قال تعالى: ﴿فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (الأعراف:).

٥- إن في حكاية القصص اتباع أسلوب التوصيف والمحاورة حيث لم يكن للعرب عهد بها، فمجيئه في القرآن ابتكار أسلوب جديد في البلاغة العربية شديد التأثير في نفوس أهل اللسان، وهو من إعجاز القرآن؛ إذ لا ينكرون أنه أسلوب بديع ولا يستطيعون الإتيان بمثله إذ لم يعتادوه، كما في حكاية أحوال الناس في الجنة والنار والأعراف، فكان من مكملات عجز العرب عن المعارضة.

٦- فقد العرب بتوغل الأمية والجهل فيهم فائدة الاتعاظ بأحوال الأمم الماضية

وجهلوا معظمها، فأعقبهم ذلك إعراضاً عن السعي لإصلاح أحوالهم بتطهيرها مما كان سبب هلاك من قبلهم، فكان في ذكر قصص الأمم توسيع لعلم المسلمين بإحاطتهم بوجود الأمم ومعظم أحوالها، قال تعالى مشيراً إلى غفلتهم قبل الإسلام: ﴿وَسَكَنْتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ﴾ (إبراهيم: ٤٥).

٧- دفع الغرور الذي قد يلحق أفراد الأمة الإسلامية بتعريفهم سعة هذا العالم، وعظمة الأمم والحضارات السابقة، والاعتراف لها بمزاياها، كما أخبرهم ﷺ عن قوة عاد: ﴿وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً﴾ (فصلت: ١٥).

٨- التيقن من أن القوة لله تعالى وحده، وأنه ينصر من ينصره، وأن البقاء يكون بالاستعداد والاعتماد؛ فبهما يسلم المسلمون من تسلط الغير. وبيان أن العاقبة والنصر لأهل الخير، قال تعالى: ﴿فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ. فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾ (الأنبياء: ٨٧-٨٨).

٩- بتتبع القصص تحصل الفوائد في تاريخ التشريع والحضارة وذلك يفتق أذهان المسلمين للإلمام بفوائد المدنية كقوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ (يوسف: ٧٦) في قراءة من قرأ {دِين} بكسر الدال، أي في شرع فرعون يومئذ، فعلمنا أن شريعة القبط كانت تخول استرقاق السارق. وقوله: ﴿قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِنْدَهُ﴾ (يوسف: ٧٩) يدل على أن شريعتهم ما كانت تسوغ أخذ البدل في الاسترقاق، وأن الحر لا يملك إلا بوجه معتبر. ونعلم من قوله: ﴿وَابْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ﴾ (الشعراء: ٣٦) إلى قوله: ﴿فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ﴾ (الشعراء: ٥٣) أن نظام مصر في زمن موسى عليه السلام إرسال المؤذنين للإعلام بالأمور المهمة. ونعلم من قوله: ﴿قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ لا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ﴾ (يوسف: ١٠)، أنهم كانوا يعلمون وجود الأجباب في الطرقات، وهي آبار قصيرة يقصدها المسافرون للاستقاء منها[٢٧].

المطلب الثالث
الخصائص الفنية للقصة القرآنية

امتازت القصة القرآنية بخصائص عدة منها:

١- تنوع طريقة العرض:

تَنوع أسلوب عرض القصص في القرآن الكريم بما يناسب تنوع الأغراض منها، فلم يسر كله على نمط واحد، كما تتنوع الوسائل البيانية تبعاً لتنوع الطرائق.

٢- إقامة العرض على التصوير:

فالقصة القرآنية تقيم العرض القصصي على الأسلوب التصويري، فالقرآن الكريم يتخير من ألوان التصوير لكل قصة ما يتناسب معها في موطنها، وتبرز الشخصيات الرئيسة فيها بصفات عقلية أو نفسية أو روحية تتناسب مع دورها.

٣- اختلاف موقع المفاجأة:

يختلف تقديم الحدث المفاجئ الذي تدور حوله القصة القرآنية، حيث يراعى المكان والزمان المناسبين لإظهار المفاجأة، فالقصة في مجال العقيدة لا تقدم كالقصة في المجال العملي، مثال ذلك أنه في قصة صاحب الجنة في سورة القلم جاءت المفاجأة في بداية القصة. أما في قصة صاحب الجنتين فقد جاءت المفاجأة في ختام الأحداث وبعد حواره مع صاحبه المؤمن.

٤- تنوع وسائل ربط المشاهد.

عملت القصة القرآنية على عدم الاستقصاء في عرض مشاهد القصة ارتفاعاً بها عن السرد المعتاد في سائر القصص، فنجد في القصة الواحدة مشاهد متتابعة، وبعضها فيه فجوة وفسحة تفتح باب الخيال أمام القارئ ليملأها، دون أن تُخل هذه الفجوة في نمو القصة.

٥- عدم التزام السرد القصصي.

لا يُلتزم بالسرد القصصي عادة، إلا للوصول لغاية وهدف القصة، كما في قصة يوسف عليه السلام فقد جاءت متتابعة من البداية للنهاية في موضع واحد، ومنها ما جاء في مشاهد متفرقة وسور متعددة، حيث اختص كل مشهد بحدث يتناسب والسورة الكريمة التي جاء فيها[٢٨].

الخاتمة: وتشمل أهم النتائج، والتوصيات:

أ- النتائج:

١- أن ضرب الأمثال في القران الكريم يفيد: التذكير، والوعظ، والزجر، والاعتبار، والحث، والتقرير، وتقريب المراد للعقل، وتصويره بصورة المحسوس، وذلك أنها تصور المعاني بصورة الأشخاص لأنها أثبت في الأذهان، كما أنها تزيد المنطق تفخيماً، ويكسبه قبولاً، ويجعل له قدراً في النفوس؛ وحلاوة في الصدور، ويدعو القلوب إلى وعيه ويبعثها على حفظه.

٣- إن ذكر القصة في موضع دون آخر يكسبها صفتين هما: صفة البيان، وصفة البرهان، وناسب ذكر القصص المقصد الأسمى من القرآن من حيث بيان التشريعات والفروع، أما فوائد ذكر القصص في القرآن الكريم كثيرة.

أهم التوصيات:

١- ينبغي على طلبة العلم الشرعي إعطاء هذا الموضوع حقه من الأبحاث، والدراسات حتى نتمكن من خلالها معرفة كيفية محاججة أعداء الدين.

٢- ينبغي على الجهات المعنية، وخاصة المؤسسات التعليمية، وضع مادة منهجية تبين من خلالها أدب الحوار وقواعده وضوابط، على هدي من توجيهات القران.

هوامش البحث.

---

[1] ابن منظور، **لسان العرب**، (١١/٦١٠).

[2] الأصفهاني، **مفردات ألفاظ القرآن**، (٢/٣٦٢). ينظر: الفيروزآبادي، **بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز**، ص (١٤٠١).

[3] ابن الجوزي، **نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر**، ص (٥٥١).

[4] ينظر: ابن الجوزي، **نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر**، ص(٢٦٠).

[5] ينظر: الفياض، محمد جابر، **الأمثال في القرآن الكريم**، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ص(١٠٣)، ١٤١٥هـ- ١٩٩٥م.

[6] ابن منظور، **لسان العرب**، (١٣/٥٠٣).

[7] مسلم، **صحيح مسلم**، (٧/١٧٨٧)، حديث رقم: (٢٢٨٢)، وتكملة الحديث هي: فكانت منه طائفة طيبة قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير وكان منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا منها وسقوا ورعوا وأصاب طائفة منها أخرى إنما هي قيعان لا تمسك ماء

ولا تنبت كلأ فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه بما بعثني الله به فعلم وعلم ومثل من لم يرفع بذلك رأسا ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به.

[٨] البخاري، **صحيح البخاري** (٥٩/٩)، حديث رقم: (٣٥٣٥)، تكملة الحديث هو: منْ زَاوِيَةٍ فَجَعَلَ النَّاسُ يَطُوفُونَ بِهِ وَيَعْجَبُونَ لَهُ وَيَقُولُونَ هَلَّا وُضِعَتْ هَذِهِ اللَّبِنَةُ قَالَ فَأَنَا اللَّبِنَةُ وَأَنَا خَاتِمُ النَّبِيِّينَ.

[٩] الجرجاني، **التعريفات**، (٨١).

[١٠] الفيروزآبادي، **بصائر ذوي التمييز في للطائف الكتاب العزيز**، (١٢٦٣).

[١١] السعدي، **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، (١٣٣).

[١٢] ابن الجوزي، **نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر**، (٤٩٠).

[١٣] ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، (٦٣/١).

[١٤] ابن منظور، **لسان العرب**، (١٣١/٢)، بتصرف.

[١٥] العسكري، **الفروق اللغوية**، (٢١١).

[١٦] العسكري، **الفروق اللغوية**، (٤٣٠).

[١٧] ينظر: السيوطي، **الإتقان في علوم القرآن**، (٤٥/٤).

[١٨] العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعد، **جمهرة الأمثال**، (٥/١)، دار الفكر، الطبعة: الثانية، ١٩٨٨م، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم وعبد المجيد قطامش.

[١٩] الطبري، **جامع البيان في تفسير القرآن**، (٢١- ٢٨٥)، بتصرف يسير.

[٢٠] ينظر: ابن كثير ، **تفسير القرآن العظيم**، (٧٠١/٣)، دار الفكر.

[٢١] السيوطي، **الإتقان في علوم القرآن**، (٤٨/٤)، بتصرف.

[٢٢] ينظر: الميداني، عبد الرحمن حسن، **الأمثال القرآنية**، ص(٣٢)، دار القلم، دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٠هـ- ١٩٨٠م.

[٢٣] الطبري، **جامع البيان في تأويل القرآن**، (٤٥٠/١٢).

[٢٤] محمود، علي عبد الحليم، **فقه الدعوة إلى الله**، (٢٣٢/١)، الطبعة: الرابعة، ١٤١٣هـ- ١٩٩٣م، دار الوفاء، المنصورة، مصر، بتصرف يسير.

[٢٥] الطبري، **جامع البيان في تأويل القرآن**، (٥٢١/١٨).

[٢٦] ينظر: ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، (٣٥٧/٣).

[٢٧] ينظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، (٦٣/١- ٦٤).

[٢٨] عباس، فضل حسن، **قصص القرآن الكريم**، (٣٨- ٤٠)، بتصرف، دار الفرقان، عمان، الأردن، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.

المصادر والمراجع:

١. الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد بن المفضل المعروف بالراغب ، **مفردات ألفاظ القرآن**، دار النشر: دار القلم، دمشق.

٢. البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة الجعفي، **الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه**، تحقيق: محمد زهير بن ناصر

الناصر، دار طوق النجاة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.

٣. الجرجاني، علي بن محمد بن علي، **التعريفات** ، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، بيروت ،ط١، ١٤٠٥.

٤. ابن الجوزي، عبد الرحمن، **نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر**، تحقيق: محمد عبد الكريم كاظم ، مؤسسة الرسالة ، بيروت - ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤ م،الطبعة: الأولى.

٥. السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.

٦.مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري، **صحيح مسلم**، دار إحياء التراث العربي، بيروت، تحقيق وتعليق: محمد فؤاد عبد الباقي.

٧.السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر(المتوفى: ٩١١هـ)، **الإتقان في علوم القرآن**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم،الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة: ١٣٩٤هـ- ١٩٧٤م.

٨.الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي (٢٢٤- ٣١٠ هـ)، **جامع البيان في تأويل القرآن**، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، هـ- ٢٠٠٠ م.

٩.ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر التونسي (المتوفى: ١٣٩٣هـ)، **التحرير والتنوير**، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.

١٠. عباس، فضل حسن، **قصص القرآن الكريم**، دار الفرقان، عمان، الأردن، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م.

١١. العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعد، **جمهرة الأمثال**، دار الفكر، الطبعة: الثانية، ١٩٨٨م، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم وعبد المجيد قطامش.

١٢. أبو هلال العسكري، **معجم الفروق اللغوية**، الطبعة: الأولى، ٢٠٠٠م- ١٤١٢هـ، مؤسسة النشر الإسلامي.

١٣. فياض، محمد جابر، **الأمثال في القرآن الكريم**، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م.

١٤.الفيروزآبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب، **بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز**، تحقيق الأستاذ: محمد علي النجار، المكتبة العلمية، بيروت.

١٥. ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية، ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م.

١٦.محمود، علي عبد الحليم، **فقه الدعوة إلى الله**، الطبعة: الرابعة، ١٤١٣هـ- ١٩٩٣م، دار الوفاء، المنصورة، مصر.

١٧. ابن منظور، محمد بن مكرم الأفريقي، **لسان العرب**، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى.

١٨. الميداني، عبد الرحمن حسن، **الأمثال القرآنية**، دار القلم، دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٠هـ- ١٩٨٠م.